

ما أعجبهم إذ يذكرون العقوبة وينسون الذنب الذى استوجب العقوبة كما يستوجب السبب النتيجة .

وأى ذنب ؟ . . ذنب لو قوبل به غير محمد لأراق فيه أنهارا من الدماء وله حجة من سلطان الدنيا والآخرة .

فلا نذكر استهزاء المشركين به واعتائهم إياه وإلقاءهم عليه القدر والحجارة ، واتهارهم بحياته وحياة أصحابه وإخراجهم المسلمين من ديارهم إلى أقصى الديار ، ولا نذكر العناد والإغاظة والاستثارة لغير جريرة إلا أنهم دعوا إلى عبادة الله والتحلل بمكارم الأخلاق وترك عبادة الأصنام وترك الرذيلة .

* * *

لا نذكر شيئا من هذا فهو أطول من أن يحصيه هذا الكتاب ، ولكننا نذكر حادثا واحدا تجمع فيه من اللؤم ما تفرق في كثير غيره ، وذلك حادث الرسل الأربعين - وقيل السبعين - الذين قتلوا في بئر معونة ولا ذنب لهم إلا أنهم ذهبوا تلبية لدعوة الداعين ليعلموا من ينشد علم القرآن والدين ، غير مغضوب عليه . فإذا كانت دول الحضارة صانعة بالقاتلين الغادرين لو كان هؤلاء الأربعون أو السبعون مبشرين بالدين المسيحي قتلوا في قبيلة من الهمج الذين يأكلون الآدميين ومن حقهم أن يعذروا كما تعذر الوحوش . . إن بقى من أبناء القبيلة من يروى أبناء المقتلة ، فقد يقال إن القوم لرحماء في العقاب ! . .

* * *

ولم يكن حادث بئر معونة بالحادث الوحيد من حوادث الغدر بالرسل الأبرياء . فلعلنا نختم هذا الفصل عن الصداقة بخير ما يختم به حين نشير إلى غدر قبيلة هذيل بالرسل الستة الذين ذهبوا إليهم ليعلموا من شاء أن يتعلم أحكام الدين وهو آمن في داره ، لا إكراه له ولا بغى عليه . فقتلوا جميعا وجيء بأحدهم زيد بن الدثنة أسيرا لبياع . . فاشتراه صفوان بن أمية ليقته بأبيه ، ونصب للقتل فسأله أبو سفيان مستهزئا : « أنشدك الله يا زيد . أتخب أن محمدا الآن عندنا في مكانك تضرب عنقه